## المحاضرة السادسة : الحداثـــــــــة الشعرية

**تمهيد:**

الحداثة في الأدب هي أهم قضايا عصرنا ،و قد أثارت كثيرا من الجدل النقدي بين النقد والشعراء قديما و حديثا ،و قد أثيرت قضية القدماء و المحدثين لأول مرة في تاريخ الشعر العربي ،مع بشار بن برد و أبي نواس ،و أبي تمام و غيرهم في مطلع العصر العباسي الذي انصبّت فيه روافد ثقافات شعوب عديدة أسهمت في تشكيل العقل العربي ،فقد قيل عن بشار بن برد أنه "أستاذ المحدثين " و "أول المولّدين" ،ثم جاء أبو تمام فكتب شعرا لا يفهم ،و هذا يعني انفصاله عن مستوى الفهم التقليدي للشعر آنذاك ،و للتذوّق السائد ،و هو أن يقول الشاعر ما يفهمه الجميع .

و تجدد أوار الجدل النقدي حديثا مع شعراء الحداثة عقب الاحتكاك بشعراء الحداثة الغربية .

**مفهوم الحداثة الشعرية :**

الحداثة هي تجاوز طرائق التعبير التقليدية ،و مقاييس النقد التقليدية ،و الشفوية الخطابية ،وتجاوز الأدبية القديمة ،من أجل تأسيس نوع جديد من التعبير ،بحيث تصبح القصيدة كتابة جديدة ،ليست وزنا بالضرورة ،و ليست لاوزنا بالضرورة ،و إنما هي إيقاع وزني نثري أو نثري وزني،و هكذا تصبح القصيدة شكلا مفتوحا و هذا يعني تجاوز مفهوم الشعر كما ورثناه و تحديد جديد للشعر .

و من ثم يمكننا تعريف الحداثة على أنها " محاولة تركيب بين التراث و التجديد ،و الأصالة و المعاصرة ،هي استمرار التجديد الذي بدأت طلائعه في الشعر العربي ،منذ أوائل العصر العباسي ،و استمر في مدارس التجديد الحديثة (الكلاسيكية الجديدة و الرومانسية ،و الرمزية ...)،حيث ازدوج هذان التياران :التراثي و الحداثي في شعر هذه المدارس الحديثة ،و تُمُثل ثم أعيد إبداعه شعرا جديدا على غير مثال النتاج الشعري لهذه المدارس ".[1]

---

[1]- محمد عزام ،الحداثة الشعرية ،ص 38.

فالحداثة تجديد لا يلغي القديم و إنما يتمثله ثم يتجاوزه ،فهي التغاير و الخروج من النمطية .

**مفهوم الشعر الجديد :**

يعرّف الشعر الجديد على أنه رؤيا ،و الرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات الزائدة ،إنها تغيير في نظام الأشياء و في نظام النظر إليها ،هكذا يبدو الشعر الجديد تمردا على الأشكال الشعرية القديمة،فهو تجاوز و تخطي يسايران تخطي عصرنا الحاضر و تجاوزه للعصور الماضية ،أن نرى في الكون ما تحجبه عنا الألفة والعادة ،أن نكتشف علائق خفية ،وأن نستعمل لغة و مجموعة من المشاعر و التداعيات الملائمة للتعبير عن هذا كله،إنه كما يقول الشاعر الفرنسي رينيه شار " هو الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة إلى الكشف"[2].

**تجربة أدونيس الشعرية و النقدية:**

يعد أدونيس من أكبر الشعراء العرب المعاصرين، و سيرته الشعرية تختصر مسيرة الشعر العربي المعاصر في النصف الثاني من القرن العشرين ،فقد بدأ شاعرا تقليديا ،ثم تجاوز التقليدية إلى الشعر الحر ،ثم أصبح من رواد قصيدة النثر ،و انتهى أخيرا إلى مرحلة الكتابة أسلوبا شعريا في التعبير الأدبي .

و قد بدأ حياته الإبداعية في مجلة شعر البيروتية بين عامي 1957و 1963 ،ثم انفصل عنها ،و كانت مجلة شعر قد تبنت مفاهيم الأدب الغربي الحديث في الشعر و النقد ،و وضعت أسس "قصيدة النثر" ،و فتحت صفحاتها لنتاج الشعراء الشباب ،و في هذه المرحلة اكتسب أدونيس اسم ادونيس و استلهم رموزو أساطير الحضارة السورية القديمة .

و عقب انفصاله عن مجلة شعر أصبح التراث العربي الاسلامي مرحلته الفكرية الجديدة، و اتجه إلى التراث الصوفي فوجد في أشعار السهر وردي و النِّفري ضالته ،و وجد ترحيبا من مجلة الآداب ،و في هذه المرحلة انتقى مختارات من الشعر العربي القديم في ثلاثة مجلدات ضخمة

[2]-محمد عزام الحداثة الشعرية ،ص 36.

سماها ديوان الشعر العربي،و أعقبها بدراسته النقدية "الثابت و المتحول " التي نال بها درجة الدكتوراه .

ثم استقل أدونيس في المرحلة الثالثة بمنبر خاص ،و أسس مجلته الشعرية "مواقف"عام 1967،التي أرادها نافذة لكل الأصوات المقموعة ،و من هنا فتحت المجلة صدرها لكل الآراء ،و لمختلف الاتجاهات المتباينة .

و قد وضع أدونيس بالإضافة إلى أعماله الشعرية ،عددا من الكتب و الدراسات النقدية أهمها:مقدمة للشعر العربي ،زمن الشعر،الثابت و المتحول ،فاتحة لنهايات القرن ،النص القرآني و آفاق الكتابة ،الصوفية و السوريالية ،سياسة الشعر ...[3]

**أوهام الحداثة في رأي أدونيس :**

لعل من أهم آراء أدونيس النقدية بيانه للحداثة [4]،و الذي حاول فيه الحديث عن الحداثة العربية ،وأسبابها و إشكالية التعارض بين الشرق و الغرب ،و مفهوم الحداثة الشعرية العربية و خصوصيتها ،كما عرج على أوهام الحداثة ،و هي حسب رأيه تتمثل في التالي :[5]

**1- الزمنية :**

و تعني ربط الحداثة بالعصر ،و بالراهن من الوقت و التقاط حركة التغيير و الانفصال عن الزمن القديم ،و التعبير عنها دليل كاف ،بحسب هذا الميل عن الحداثة ،و من الواضح أن هؤلاء ينظرون إلى الزمن على أنه من القفز المتواصل ،،و على أن ما يحدث الآن متقدم عل ما حدث غابرا ،و على أن الآن متقدم على الغد .فالشعر حسب أدونيس لا يكتسب حداثته بالضرورة من مجرد زمنيته ،و على هذا الأساس اعتبر أدونيس أن امرأ القيس في كثير من شعره كان أكثر حداثة من أحمد شوقي .

---

-من بين دواوينه الشعرية : أغاني مهيار الدمشقي ،مفرد بصيغة الجمع ،ديوان الهجرة في أقاليم الليل و النهار ،الكتاب أمس المكان الآن (ثلاثة [3]أجزاء)،كتاب التحولات ....

[4]-أدونيس ،فاتحة لنهايات القرن،ص314.

[5]-م.ن

**2-وهم المغايرة :**

و يذهب أصحاب هذا القول أن التغاير مع القديم ،موضوعات و أشكالا هو الحداثة ،و الدليل عليها ،و يكفي الشاعر في منظور هذا الوهم أن يضع قصيدة تغاير في موضوعها و شكلها القصيدة القديمة لكي يكون حديثا .

**3-وهم المماثلة :**

ففي رأي بعضهم أن الغرب مصدر الحداثة اليوم ،و لذلك لا حداثة في رأيهم خارج الغرب إلّا في التماثل معه ،و من هنا ينشأ وهم معياري تصبح فيه مقاييس الحداثة في الغرب مقاييس للحداثة خارج الغرب .و هذه نظرة تصدر عن إقرار مسبق بتفوق الغرب .

**4-وهم التشكيل النثري :**

و هو استغراق في الزمنية ،فالذين يمارسون كتابة الشعر نثر (و يقصد هنا قصيدة النثر)،يرون أن الكتابة بالنثر من حيث هي تماثل مع الكتابة الشعرية الغربية ،و تغايرا كاملا مع الكتابة الشعرية العربية إنما هي ذروة الحداثة ،و يذهبون إلى القول بنفي الوزن ،ناظرين إليه كرمز قديم يناقض الحديث.و لهذا فإن كتابة قصيدة نثر عربية أصيلة يحتم الانطلاق من فهم التراث العربي و استيعابه بشكل دقيق و شامل ،(و هذا ما فعله أدونيس لاحقا حين عاد إلى التراث العربي و خاصة الصوفي مستمدا منه شعريته الجديدة ).

**5-وهم الاستحداث المضموني :**

و هو اعتقاد البعض أن كل نص شعري يتناول إنجازات العصر و قضاياه إنما هو نص حديث ،و هذا زعم باطل ،فقد يتناول الشاعر هذه الإنجازات و هذه القضايا برؤية تقليدية ،كما فعل الزهاوي و شوقي و الرصافي .و إن كان لهؤلاء عذرهم لأنهم عاشوا في مرحلة وسطى ما بين القديم و الحديث.

تلك هي أوهام الحداثة أو الحداثة المزيفة عند أدونيس ،و من الواضح انها تحيط بشمولية بكل هنّات الحداثة غير الحقيقية ،و من الضروري التمييز بين الشعر الحديث و الشعر الذي يدعي الحداثة كي لا تختلط الامور و المقاييس و تضطرب الأذواق.